

الفصل الرابع

فرنسا ازاء الخطر الهتلري

الحزب الشيوعي هو حزب السلام ، وقد تولد من النضال ضد الحرب ، ومن الارادة الحازمة التي عبر عنها مؤتمر تور سنة ١٩٢٠ ، والتي تقول بعدم السماح بتجديد مأساة الاممية الاشتراكية الثانية . واما الحزب خلال المعارك التي خاضتها الطبقة العاملة ضد احتلال الروهر (١٩٢٣) وضد حروب الموصية العدوانية ، في مراكش وسوريا (١٩٢٥ ...)

وكان الحزب الشيوعي ، بتعبيره عن ارادة الشعب الفرنسي السامية ، يؤازر مؤازرة حازمة ، جميع القوى المناضلة في سبيل السلم التي تنهض في جميع ارجاء العالم لتجابه قوى الحرب .

وكانت الرأسمالية ، في اوروبا معاهدة فرساي ، قد ضاعفت التناقضات ، ودوافع العداة . وكانت الفاشية تهبج الاحقاد القومية ، وتجتهد في اعداد حرب عالمية ثانية ، وسرعة السباق نحو التسليح تتزايد ، وتعددت مكامن الحريق ، وتضاعفت افواه

النيران . وخطبت في مؤتمر فيلبران عام ١٩٣٦ فقلت :

تعايش في العالم الرأسمالي المعاصر فئتان من الدول : فئة افادت من اوضاع سنة ١٩١٩ ، وتريد ان تحافظ على تلك الاوضاع ؛ وللحرب بالنسبة اليها سيئات اكثر مما لها من فوائد ، وفئة تريد ان ترحزح بقوة السلاح الاوضاع الناشئة عن معاهدات ١٩١٩ ؛ وفي داخل الفئة الاولى نجد اصحاب الصناعات الحربية ، والعسكريين الذين ينادون بسياسة مسايرة ازاء اهداف القوى الفاشية ...

وكانت الدول الناقثة الى اعادة تقسيم العالم (المانيا ، ايطاليا ، اليابان) تتجمع اكثر فأكثر وتوثق روابطها فيما بينها . فعلمنا ان ننظر الى العدوان الايطالي على الحبشة بمثابة مرحلة اولى لصراع مسلح ادت اليه معارك خاضتها القوى الاستعمارية الاعظم ايضاً في العدوان ، لقلب خارطة اوروبه وآسية رأساً على عقب ، بطلقات المدافع .

وضاعفت الدول الفاشية من روحها العدوانية الموجهة الى الاتحاد السوفياتي . ذلك لان البلاد الاشتراكية هي ، في اساسها ، بلاد السلم ، وهي المناضلة الحقيقية عن الديمقراطية والتقدم ، وكان الاتحاد السوفياتي يبذل جهوداً جبارة لانقاذ السلام ، فما إن تأسست الجمهوريات السوفياتية ، ٧ نوفمبر ١٩١٧ حتى وجهت الى العالم رسالة تدعو الى السلام ، وتناشد الشعوب المتحاربة التسارعة الى وضع حد للمجزرة ، وكانت تقترح عقد

صلح ديموقراطي عادل ، فأجابت الحكومات الاستعمارية هذه الدعوة بزيادة فظائعها وجرائمها ، فاكنتحت الجيوش الالمانية اوكرانيا واقتربت من بتروغراد ، فتصدت الفصائل الاولى من العمال والفلاحين (التي اوضحت فيما بعد الجيش الاحمر الباسل) وصدت الغزاة البرابرة ، واحرزت في ٢٣ شباط ١٩١٨ انتصاري بسكوف وتارفا ، وبعد الالمان ، جاء دور جيوش الحكومة الفرنسية ، حليفة روسيا القيصرية ، وهي التي نظمت شؤون التدخل ، واذكت المؤامرات المناهضة للثورة ، واعدت عصابات الحرس الابيض ، وجهدت ، خلال سنوات عدة ، لسحق نظام الحكم السوفياتي . في تلك الاثناء نهض الجنود الفرنسيون والبحارة الشرفاء المرابطون في البحر الاسود ، واتقدوا شرف الشعب الفرنسي ، حين رفضوا تسديد اسلحتهم الى مهد الثورة الاشتراكية الاولى .

وبعد ان نجحت الحكومة السوفياتية في صد هجوم الدول الرأسمالية الاربع عشرة ، وفي سحق القوى المناوئة للثورة ، عمدت الى نشاط عنيد مستمر ، في سبيل تنظيم السلام ، ونزع السلاح من الدول كافة . وبدأ مندوبو الحكومة السوفياتية ، منذ مؤتمر جنوا ١٩٢٢ ، يطالبون بتحديد التسليح ، واقترحوا سنة ١٩٢٧ منهجاً لنزع السلاح ، جزئياً ، ولكنهم كانوا يلاقون دائماً الاذنان العمياء . وعادت الحكومة السوفياتية الى بذل جهود مماثلة سنة ١٩٣٢ . ولكن عبثاً . وكانت سياسة الاتحاد

السوفيياتي السامية تركز دائماً على قوة اقتصادها الاشتراكي المتصاعد دوماً ، وعلى قوة جيوشها الباسطة التي لا تضاهى ، وعلى المعونة الحقيقية التي تجدها عند الجماهير الشعبية في العالم اجمع .

وفي حين كانت ألمانيا هتلرية ، وقد اسكرتها النشوة العسكرية ، واقتضت نباتها العدوانية ، تنسحب من عصبة الامم ، كان الاتحاد السوفيياتي ينخرط في هذه الجمعية عام ١٩٣٤ . واقترح السوفييات على دول العالم نظاماً للضمان العالمي المشترك . وكان من شأنه ان يلقي الحشبة في قلوب المعتدين ، لو طبق ، وكانت المعاهدة السوفيياتية الفرنسية الموقعة في موسكو ١٩٣٥ اخدى الضمانات الاساسية للسلام في العالم ، ولا شك في ان ممثلي البورجوازية الفرنسية لم يذهبوا الى موسكو بدافع من عطفهم على الديموقراطية او تحمسهم للاشتراكية ، بل ان الخطر الجرمانى المتزايد كان يحمل البورجوازيين الفرنسيين على العودة الى سياسة فرنسا التقليدية تلك التي تليها احكام جغرافية على رغم اختلاف النظم السياسية ، ففي القرن السادس عشر تحالف فرانسوا الملك المسيحي جداً ، مع السلطان سليمان الثاني ، لمقاومته شارل كان . وفي القرن السابع عشر لم يتردد الكاردينال ريشيليو في التفاهم مع غوستاف ادولف ، ملك السويد البروتستانتي . وعند نهاية القرن التاسع عشر سعت الجمهورية الفرنسية الثالثة الى التحالف مع القيصر نقولا الثاني .

كان ميثاق التحالف الفرنسي السوفيياتي وسيلة تضمن لفرنسا

الامن والسكون والسلام ، في قارة اوروية تهددها مظالم
كاسرة ، لمجتاح مثل بفكرة المدى اخبوي والفتح . ولم يمض على
توقيع ائتياق زمن قصير ، حتى عمدت البورجوازية الفرنسية
الرجعية الى مهاجمته ، واضعافه واضراجه . كانت فكرة مقاومة
الشيوعية تعمي بصائر البورجوازيين عن اوضح معاني المصالح
الفرنسية واكثرها بذهية... وبعد مضي ثلاث سنوات على توقيع
ائتياق الفرنسي - السوفياتي ، تجاهله الحاكمون الفرنسيون
وتناسوه ، فلم يبق في نظرهم الا قصاصة من الورق... وفي
مونبخ.. داسوه بالاقدام...

وبالعشاوة التي يختم بها جوبتير على قلوب الذين قضى بفنائهم ،
كانت الطبقة الحاكمة الفرنسية تفضل التفاهم مع هتلر ، عدو
فرنسا اللدود المبين ، على التفاهم مع الاتحاد السوفياتي ، ولو
افضى بها ذلك الى هلاك فرنسا...

والطبقة الحاكمة - الى هذا وذاك - لم تقف هذا الموقف
لجهلها برامي الطاغية هتلر...

فمنذ ١٩٢٥ عرض هتلر اهداف سياسته الخارجية ومبادئها
في كتابه « ماين كامف - كفاحي » ولقد نشر انجيل القومية -
الاشتراكية هذا في ارجاء المانيا ، وطبعت منه ملايين النسخ .
وكان المعلمون يشرحونه في المدارس ، وضباط الاحوال المدنية
يهدونه الى المتزوجين الجدد ليضعوه تحت وسائدهم...

وكان الديكتاتور يعرض في كتابه مذهبا لتفوق الدولة

الجرمانية ، مؤسساً على تفوق مزعوم للعرق الجرمانى الذي سيكون فى مستقبل قريب « شعباً من السادة » مدعواً للسيطرة على العالم .

وكان هتلر يدعو الى ان تضم حدود الرايخ الالمانى جميع الشعوب التى هي من دم جرمانى تسكن الاراضى الداىتركية والتشيكية والنمساوية والبولونية والروسية والفرنسية ! كانت هتلر يرمى الى اعادة حدود المملكة الجرمانية المقدسة ، ثم الانطلاق لغزو الشرق .

ونحن نعرف ان الامبراطورية الرومانية المقدسة كانت تضم ، مع المانية ، اراضى هولندا وبلجيكة (والفلاندر والالزاس واللورين والفرانش كونتية ، اى خمس عشرة مقاطعة من مقاطعاتنا الحالية !) والنمسة واوسترية وتشيكوسلوفاكية والشطر الغربى من بولونية . كانت هتلر يرمى الى تأسيس امبراطورية سابعة الرقعة ، تمتد من بحر المانش الى بحر قزوين ، ومن المحيط المتجمد الشمالى الى البحر المتوسط .

ولبلوغ هذه الاهداف وانخضاع اوروبا لحكمه الوحشى ، كان لهتلر وسيلة ، وسيلة واحدة : الحرب !

فالسلاام يتناقض تماماً وطبيعة القومية الاشتراكية ، فهتلر يؤكد ان الانسانية نشأت فى غمرة المعارك الدائمة ، اما السلاام المستتب فيؤدى بها الى القبر . « السلاام ؟ انه وهم يناقض احكام الطبيعة والعقل ! »

ويتدفق حقد هتلر على فرنسا ، في صفحات كتابه كله ،
عائياً مزججراً : « ان علينا اخيراً ان نتبين بوضوح هذا
الواقع : ان العدو المميت ، العدو البربري ، العدو الذي
لا يرحم ، بل يتربص بالشعب الالمانى الدوائر ، كان ولا يزال :
فرنسا ! ولا عبرة في من حكم فرنسا او سيحكمها : سواء
البوربون ام اليعقوبيون ، ام نابليون ام الديموقراطيون
البورجوازيون ام الجمهوريون ام البلاشفة الحمراء ! »

ويشفع هتلر هذا التأكيد الوارد في كتابه او يفسره
« بأفكار » بلهاء فيقول :

« وكانت فرنسا ، وما تزال ، العدو الذي يجدر بنا ان
نخشاه اكثر من سواه . فهذا الشعب الذي ينحدر اكثر فأكثر
الى درك الزوج ، يعرض وجود العرق الابيض ، في اوروبة ،
للخطر ، وذلك بمؤازرته اليهود ، في اهدافهم للسيطرة على
العالم . »

وفي الخامس من سبتمبر ١٩٣٦ ، ألقى خطاباً في مجلس
النواب ضد سياسة عدم التدخل ، فأوردت هذه العبارات
المتلوية الوقحة ، لافضح مراميها واوضح اهدافها ، وحاول احد
عملاء هتلر ان يقاطعني ، وهو النائب فيليب هنريو ، الذي
كشفت الايام فيما بعد ، عن خيانه ...

في الصفحة ٧٦٥ يقول هتلر :

« ستشرب حرب ثانية ، وذلك لا شك فيه ، فعلينا ان نبادر

قبل نشوبها ، فنغزل فرنسا ، ونحسن عزوها ، حتى تتحول
الحرب الى دفاع الماني ضد فرنسا ، فرنسا وحدها ، لا الى
صراع الماني ضد العالم اجمع ، وعلينا ان نقنع العالم بأن فرنسا
هي التي تعكر صفو الامن وهي التي تقف حجر عثرة في سبيل
السلام .

ثم يضيف :

« لا ترى المانيا في افناء فرنسا الا الوسيلة التي تتيح للشعب
الالمانى التوسع والنمو في ارض خالية ، ما استطاع التوسع
والنمو .

نحن اليوم في اوروبا ثمانون مليوناً ، ولن تقر بنجاح سياستنا
الخارجية الا اذا اصبحنا ، في اقل من مئة عام ، ٢٥٠ مليوناً
من الالمان ، يعيشون في هذه القارة الالمانية . »

كان لمثل هذا الجنون وهذه الرعونة ان يزيلا الغشاوة عن
الابصار ، ويفتحا البصائر على حقيقة الطاغية البربري ، فينهض
الفرنسيون جميعاً متحدين ، لفضح الاعتداء قبل وقوعه ، والتأهب
لصدده ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل !

فالطبقة الحاكمة الفرنسية ، وقد اعماها خوفها من الشعب ،
وحقدتها عليه ، كانت تولى وجهها شطر هتلر ، وتوى فيه حارس
اوروبه ، حارساً له من القوة ما يساعده على صيانة الامتيازات
الرأسمالية ، والقضاء على البلشفية قضاء مبرماً .

وعلى الرغم من ضعف المذهب الفيتري ، وسخافته ، بدأت خطة هتلر تلاقى النجاح ، فكانت فكرة المناهضة الشيوعية افضل منطلق لمشروع هتلر واهدافه في العدوان والفتح . وكان يشد ازره في صليبيته ضد البلاشفة ، رأس اليو فرنسة وانكائرا واميركا ، وكانت الفاشية تلقي بذورها في بلدان اعدائها ، وكانت حربها في سبيل الفتح والعدوان مصاحبة لحرب اهلية ضارية نشبت على الصعيد العالمي ، وكسبتها الفاشية بسرعة ودون كبير عناء ، لان طاورها الخامس كان يشل دفاع خصومه ، في كل مكان ، مدخلا عملاءه واعوانه في مجالس الحكومات ، فاتحاً الطريق لطواييره الآلية العاصفة ، وكانت الفاشية تعتمد الحياة ايضاً ، مثل اعتمادها قوة السلاح ، لبناء الامبراطورية الجرمانية الجديدة ، وتثبيت دعائمها مدة الف عام على الاقل ...

وكان هتلر يستخدم الفكرة المناهضة للشيوعية كأنها جواد طروادة الخشبي :

« سأكون وثيق الاتصال برجال يؤولفون حكومة جديدة ، حكومة تلائم اهدافي ، وهؤلاء الرجال ، سنخدم في كل مكان ، بل لن نتجشم المشقة في شرائهم ، انهم سيقصدوننا من تلقاء انفسهم ، يدفعهم الطموح او الغفلة او النزاع الحزبي او الكبرياء ، وسنوقع معاهدة الصلح قبل بدء القتال ... وفيما نحن نحارب العدو بجميع ما لدينا من اسلحة ، نعمل ايضاً لشل قواه

بجرب الاعصاب . وسنعمد الى اشعال نار الثورة في فرنسة ،
وسأدخل البلاد الفرنسية محرراً ، وسينظر الينا البورجوازي
الفرنسي الصغير ، بوصفنا ابطال نظام اجتماعي عادل جديد ،
ورواد سلم دائم . فهؤلاء البشر اصبحوا لا يرغبون في سماع شيء
عن الحرب والعضائم . اما انا فأريد الحرب ، وستكون الوسائل
جميعها صالحة في يدي ... الحرب ... هي انا . »

بهذه العبارات التي صدرت عن هتلر في تموز ١٩٣٢ كانت
يعرض خطته ، بدقة في التفاصيل ، تم عن تصميم سابق وتفكير
طويل ثم اضع الى هذا ان هتلر نفذ هذه الخطة بخدافيرها ،
فمنذ ذلك العهد كان هتلر يشير الى اتباعه المخلصين بأنه انا يهدف
للسيطرة الشاملة :

« مهما عظمت مساعينا وتركزت قوانا ، فمساعينا تظل فاشلة
ان لم نسيطر على اوروبه كلها .. ان المانية هي اوروبا . نحن
نحتاج الى اوروبه ومستعمراتها فلمانيا الراهنة ليست الا بداءة ،
ومدانا الكامل الصحيح ، مدانا نحن الالمان ، هو اوروبه . »

ولتحقيق هذه المطامح الجنونة يعتمد هتلر احط الغرائز
واحقرها ، واكثر الوسائل مكيافيلية ، وفلسفته ترتكز على
اذكاء روح القومية الالمانية ، الى درجة الجنون ، وعبادة الذات
القومية ، والافكار المناهضة للسامية ، وعلى الوحشية والحقده ،
واعتبار الانسان آلة مسخرة صماء ، وبرجعة القسوة وتنظيمها ،
وتقديس اللصوصية ...

ان اساس هتلرية هو الرغبة العميقة في القضاء على كل ما يتعارض مع عرق السادة الآريين ، في سيرهم نحو السيطرة اللامتناهية ، فترى روزنبرغ احد اصحاب النظرية القومية الاشتراكية ، يجد في حرارة وحماسة ، عقيدة الدم التي ستفجر الثورة العالمية ، وتطلقها من عقائدها ، تحت شعار الصليب المعقوف وكان روزنبرغ يريد ان تعرف كل هذه « الثورة العالمية الفاشية » بحري التاريخ ، وتدفعه الى الوراء ، وتضع حداً لتلك الحركة التحريرية التي ما فتئت ، منذ عهد النهضة ، اثناء الثورتين الفرنسية والروسية ، تحمل الانسانية الى مجتمع افضل واعدل .

اذن كان هؤلاء البرابرة المسلحون يهدفون الى هدم القيم الانسانية كلها .

واليوم وقد تلاشى كاهن القومية الاشتراكية الملعون ، وخلف ركاباً من الحرائب ، وسيولاً من الدماء والدموع ، لا تزال جرائم النازية العرقية السامة ماثلة لا في المانيا وحدها بل في بلاد اخرى ، وفي الولايات المتحدة بخاصة ، حيث نرى التمييز الفظيع بين البيض والزوج ، تمتد الحركة الفكرية وتستمر ، وتذكيها القوى الرجعية ، وقد تعتمد الفاشية على « افكار » مختلفة ابلوغ اهدافها ، ولكن انى وجد « مفكرون » يخدمون الفئات الرأسمالية ، بذاهبهم ويدعون الى العرقية ، فثمة خطر فاش ...

وهكذا قامت في وجه سياسة الاتحاد السوفياتي السامية ،

ورغبته في نظام ضمان جماعي ، وسلام شامل لا يتجزأ ، سياسة
المانيا الفتوية المضطربة الحاقدة ، و اراد الديكتاتور النازي ان
يحل الحرب في « مناطق محدودة » ، وفق خطة تدريجية « ذكية »
ليتاح له سحق خصومه واحداً واحداً على نحو « افضل » .
فيهاجم : النمسا ، فمبيل ، فالسوديت ، قشيكوسلوفاكيا ،
فالمر البولوني ، ففرنسا .

انه سيأكل اوروبا ورقة ورقة . لقد ذك معالم الجمهورية
الالمانية عام ١٩٣٣ متذرعاً بحماية المانيا من الخطر الشيوعي .
وسيتخذ الذريعة نفسها للسيطرة على العالم ، وكان يعتقد انه
بتحريك شعب الخطر البلشفي يضم الى صفوفه جميع العناصر
الرجعية الرأسمالية الفاشية في جميع البلدان ، فينسف الميثاق
الفرنسي - السوفياتي ، ويعزل فرنسا .

وفي ١٨ حزيران ١٩٣٤ وقع هتلر اتفاقية بحرية مع انكلترة ،
في ذكرى « معركة واترلو » ليذكر البريطانيين بماض كان فيه
الانكليز والالمان بحاربون فرنسا معاً .

وعام ١٩٣٦ وقع مع اليابان الميثاق المناهض للكومنتون
الذي انضمت اليه ايطاليا فيما بعد ، وتحالف موسوليني مع هتلر ،
بعد ان اجتاح الاول الحبشة عام ١٩٣٥ لحمايتها من خطر
« البلشفية والوحشية » ، وكانت اولى نتائج هذا الميثاق الفاشي
دعم فرانكو المتمرد على الجمهورية الاسبانية ؛ ولانتزاع بلاد
السوديت من تشيكوسلوفاكيا دعم هتلر موقفه بدالاديه

وتشامبرلين واعتمد ايضاً على بولونيا التي يحكمها الكولونين بيك .

وبعد مضي عام ، رأينا هتلر يطلق جحافلَه على بولونيا نفسها قبل اجتياحه فرنسا ، وهكذا عمد هتلر الى نهج منظم ، فهو يقضي على هذا ، ويعزل ذاك ، ليقضي عليه اخيراً ، ثم يعود الى الآخر ، فيدفع الى الامام مدرعاته وفرقه على الشطرنج الاوروبي ويحقق مناهجه نقطة فنقطة .

فماذا كان يفعل عهدئذ اولئك الذين تنبأ هتلر بدمارهم وهدد باجتياح بلادهم ؟

كانوا يتراجعون . انهم لا يريدون ان ينظروا ولا ان يصفوا . كانوا يمارسون سياسة الحياد ، وكانوا يشجعون هتلر في سياسته العدوانية على اوروبا والعالم . وقدّر لهذا التعامي ان يقود فرنسا الى فوهة الهاوية .

وكان كل تراجع امام المجتاح يجر على فرنسا خسارة حليف جديد ، ويدعم مركز العدو ، في وقت معاً ، فعلى اثر اعادة تسليح رينانيا انفصلت عنا يوغوسلافيا وبولونيا ورومانيا . وحيادنا في اسبانيا بنى على الدماء الاسبانية حلفاً فاشياً بين ديكتاتوري المحور وفرانكو ، وقضت اتفاقية مونيخ على تشيكوسلوفاكيا ، وبعزلها الاتحاد السوفياتي ، هيأت الظروف الضرورية لعدوان هتلر سنة ١٩٣٩ وفتحت الابواب على مصاريعها للحرب العالمية الثانية .

وقد عبر عن تدهور البورجوازية ، تدهوراً معنوياً ، كلال
ألم بها ، وشلل وخوف متصاعدان . فالبورجوازية لا تفكر الا
في مصالحها الطبقية ، ولا تركز اهتمامها الا في ارباحها المهددة ،
فالطبقة العاملة وحدها هي التي تهتم بمصالح البلاد ، وتسهر على
سلامتها واستقلالها .

لم يكن هتار يصب لعناته على البلشفية وحسب بل انه كان
يكبره الديموقراطية ويرتاع منها اي ارتباع .

غير ان شعبنا يعلم ان فرنسا اصبحت قوية ومشعة بفضل
ثورتها الديموقراطية الكبرى في القرن الثامن عشر ، وكان
الشعب يتميز ، من وراء الخطب الهتارية الطنانة ، الاهداف التي
يحاول صاحبها ان يخفيها ، افلم يؤكد بيت ومترنيخ قديماً -
وهما عدوان لفرنسا الثورية - انهما يكافحان الفوضوية في فرنسا ،
وانهما يرميان الى انقاذ « الحضارة المسيحية » ؟ والحق ان بيت
ومترنيخ كانوا يهدفان الى اضعاف فرنسا ، وانزاع مستعمراتها
واراضيها ، والتهم اسلائها ...

هكذا كانت ايضاً لعنات هتار وثورات غضبه ذرائع للتدخل
والفتوحات ، افلم يعلن موسوليني يوماً « ستصبح اوروبا في الغد
فاشية » .

كانت الفاشية تقود ، في خط مستقيم ، الى الحرب ، وقد قال
غورنغ : « الالمانى العريق لا يموت في فراشه ! » ثم اضاف « ايها
الشعب الالمانى ، انك تفتقر الى الزبدة ، هذا صحيح ، ولكن

عندك المدافع !»

كان هتلر يتقدم بخطى سريعة ، في طريق الحرب ، وكان التساهل العجيب ، من حكومتي لندن وباريس ، يتيح له ان يمزق بنود المعاهدات جملة ، دون ان يخشى وازعاً او عقاباً ، فاعاد التدريب العسكري في المانيا ، فلم يتصد له احد ، وفي آذار ١٩٣٦ اعاد تسليح ضفة الرين اليسرى ، فلم يمنعه احد ، وهكذا لم يبق امامه الا تغيير اوضاع الحدود ، واكتساح البلاد ...

* * *

مهّد هتلر وموسوليني لمؤامرة فرانكو على الجمهورية الاسبانية الناشئة ، وحين اندلعت نيران الثورة ، سارعوا الى معونة المتمردين وصرحا بأنهما لن يرضيا ابداً بتأسيس جمهورية سوفياتية في اسبانيا ، وكاتا يطلقان كلمة « سوفياتية » على الحكومة الشعبية المنبثقة عن الانتخابات الاسبانية عام ١٩٣٦ . فأتاحت لها هذه الكذبة الوقحة ان يتدخلوا باسم « فلسفتها » المناهضة للشيوعية .

وفي الخامس والعشرين من آب ١٩٣٦ ارسلت في مدينة « بوفالو » هذا الانذار :

« ان هتلر وموسوليني يطمحان الى السيادة على البحر المتوسط الغربي ، وهما يريدان السيطرة على مراكش الاسبانية من طريق جبل طارق ... »

ولم يكن يخفى على احد ان اركان حرب هتلر وضعوا خطة لهجوم صاعق على فرنسا . وكانوا يأملون في ان يتخذوا من اسبانيا الحليفة قاعدة لاساطيلهم البحرية والجوية . وكانوا يريدون حصار فرنسا وعزلها وتطويقها . ولكن الحكومة الفرنسية كانت تغمض عينيها ، وليون بلوم ينادي بفكرة الحياذ ! . وجاء الدكتور شاخنت ، رسول الفوهرر ، فاستقبله بلوم بمظاهر التكريم والاحبة . واكد الناطقون باسم الحكومة الفرنسية ان المباحثات لم تتعد الامور المالية . ولكن شاخنت صرح قبل ركوبه الطائرة الى برلين فقال : « اغتنمت الفرصة لانبه الحكومة الفرنسية الى مخاطر الدعاوة الشيوعية » .

منذ تموز ١٩٣٦ بدأنا نشير الى ما تتضمنه ثورة فرانكو من عناصر اعتداء فاشية تبحح الى ان تكون عالمية . وقلنا بان هذه الثورة لا تنطوي على تهديد حريات الشعب الاسباني واستقلاله وحسب ، بل على تهديد سلامة فرنسا ، والسلام العالمي .

وعمدنا كذلك الى فضح الحملات الصحفية التي كان الفاشيون الفرنسيون يقومون بها لشد ازر الاقطاعيين الاسبان . فقد رأينا في تدمير الجمهورية الاسبانية جريمة كبرى ، وكنا نطالب بالطائرات والاسلحة لاسبانيا الجمهورية ، وذلك ليتمكن العمال والفلاحون الاسبان من خنق حركة المتمردين الذين امدتهم هتلر وموسوليني بفيض من الاعتدة الحربية والاسلحة .

وكنا نعتقد ، بحق ، ان في هزيمة الجمهورية الاسبانية الفتية

هزيمتنا . وبالاتفاق التام مع (السي جي في) قمنا نطالب
بتطبيق برامج الجبهة الشعبية ، واحترام ميثاق عصبة الامم ،
والمبادئ، الاولية للحقوق الاممية .

وزعم الفاشيون الفرنسيون أننا ندعو الى الحرب ! وهذا
كذب واختلاق . لقد كنا ندعو ، في الواقع ، ونطالب ،
ونلح في المطالبة بوقف العدوان الفاشي، ونحتج على هذه السياسة
الحيادية المزعومة التي تساوي بين الضحايا والمعتمدين ، والجمهوريين
والمتمردين ، اهل الحق واهل الباطل .

لقد قمنا نفضح تلك « الغلظة الرهيبة التي دفعت البروليتارية
الاسبانية دمائها ثمناً لها » .

ولا ازال اذكر ، وسأذكر دائماً، الاسئلة التي كان يطالعي
بها النساء والاطفال في فلانسيا ومدريد : « هل تتخلون عنا
لكي يذبحنا الفاشيون ؟ ايرضى العمال الفرنسيون بهذا ؟ لا .
ان هذا محال ! »

ولا ازال اذكر ، وسأذكر دائماً، احاديث جنود الحرية ،
تلك الاحاديث المشبعة بالانفة والرجولة ؛ كنت اصغي اليهم ،
في خنادق مدريد ، وثكناتها العسكرية ، حيث جاء ثلاثة من
ابناء عمي، المنخرطون ، منذ بدء الحرب الاسبانية ، في الفرقة
الاممية . ثم قدر لمارابلوكا ، اكبرهم سناً ، ان يموت في
ساحة القتال على جبهة آراغون ، مخلفاً وراءه ارملة ویتيمين .
وما كان جنود الحرية هؤلاء ليشكوا او يتذمروا . بل كانوا

يشدون بتبضاتهم على بنادقهم ويقولون وعيونهم تلتمع بمثل الشرر :
انما نناضل ، ونحن ، في سبيل الحرية ، في سبيل استقلالنا
واستقلالكم .

ونحن اليوم نصد العدو الذي قد يهددكم غداً . انها معركةكم
يا ديموقراطي العالم اجمع ، معركةكم ضد الفاشية .

وواضح اليوم ان الشيوعيين كانوا على حق ، وما اكثر
المصائب والآلام التي كان يسع الشعب الفرنسي تجنبها لو اقتدى
بنا واتبعنا في طريق الهداية .

غير ان الشيوعيين لم يكونوا يكافحون سياسة بلوم بالحط
والاقوال وحسب ، بل كانوا يعملون . فقد نظم قادة الحزب
الفرنسي الفرقة الاممية . وثمة ثلاثة آلاف فرنسي يرقدون اليوم
رقادم الاخير ، في الارض الاسبانية .

وكانت السيدات الفرنسيات والفتيات ، بقيادة دانييل كازانوف ،
يشاركن في الحرب ، ويجمعن اللبن للاطفال الاسبان . وكانت
المنظمات العمالية والديموقراطية تجمع الاموال والاعذية لتوزعها
على اللاجئين المنكوبين .

صح ما توقعناه ولم ينفع تراجع حكومتي باريس ولندن الا
في زيادة الجشع الفاشي ، ففي ١٤ آذار ١٩٣٨ دخل هتلر الى
فيينا وضم النمسا الى المانيا ، وكنا نستطيع التنبؤ بالضحية
الجديدة بعد النمسا : تشيكوسلوفاكيا ، فقد دنا اجلها بعد ان
طوقتها الجيوش الهتيرية واحدقت بها من كل جانب .

وقام هتلر يضال بضم السويدت اتي المانيا ، مستخدماً
تكتيكه الخاص ، بالاستفزاز المسلح ، والمؤامرات المندبرة ،
وحركات العصيان المنظمة التي اتحت له التدخل في شؤون
تشيكوسلوفاكيا الداخلية ، وفي ٢٨ ايلول ١٩٣٨ انعقد مؤتمر
في مونيخ ، ضم هتلر وموسوليني ، من جهة ودالادييه وتشامبرلين
من جهة ثانية ، فأحرز هتلر انتصاراً ساحقاً ، وتوالت انتصارات
الفوهرر ، اذ استطاع ان يغير خارطة اوروبا الدفاعية ، ويعزل
فرنسة ، اما الاتحاد السوفياتي ، صديقنا وحليفنا ، فقد وجد
نفسه مبعداً فجأة عن مدار السياسة الاوروبية ، وقد حيل بينه
وبين المبادرة الى نجدتنا ، والحكام الفرنسيون اهملوا الميثاق
الفرنسي السوفياتي وشرعوا ينصحون هتلر بايجاد «مداه الحيوي»
في الشرق الاوروبي ، ويدلون الجحافل النازية على طريق
اوكرانيا ، ناسين ان هذه الطريق ، في نظر هتلر ، تمر بباريس .
وتعاقبت الحوادث وفقاً للاتجاه الذي رسمناه ، وازدادت
الحالة العالمية خطراً وتفاقت الازمة .

وكان الموقف الدولي يزداد خطراً ، فنهض العمال ، وانصار
الديموقراطية ، يؤكدون عزمهم على الصمود للمعتدي ،
فاضطرت الحكومتان الفرنسية والانكليزية للرضوخ ، وايفاد
بعثات عسكرية الى موسكو ، ولكن المفاوضات استغرقت
مدة طويلة ، فالطبقة الحاكمة في فرنسة وانكلترة لم ترم الا الى
مسايرة الرأي العام ، دون تحقيق اهدافه ، فلم تزود البعثات

العسكرية بالسلطات اللازمة . وكان المتفاوضون الروس والغربيون لا يقررون امراً حتى تعود الحكومتان الغريبتان الى مناقشته ودراسته -- وعرفلته ...

وكانت الحكومة السوفياتية تطالب بالتمهيد لتدخل الجيش الاحمر ضد الالمان ، لدى حدوث عدوان هتلري ، وما كان للاتحاد السوفياتي حدود مشتركة مع المانية ، فكان من المحتوم ان تمر جيوشه خلال بولونية ، غير ان حكومة بولونيا الرجعية لم تسمح بمرور الجيش الاحمر ؛ ومن جهة اخرى كانت الحكومتان الانكليزية والفرنسية ترفضان ادخال بلاد البلطيق في عداد المناطق التي يترتب على الاتحاد السوفياتي حماية حدوده بها . ومعنى هذا ان دالاديه وتشامبرلن تركا بلاد البلطيق في متناول سياسة هتلر العدوانية ، وخططه الحربية ...

كان هدف المناورة الفرنسية البريطانية واضحاً : وهو دفع الجيوش الهتلرية الى حدود الاتحاد السوفياتي ، من بولونيا وبلاد البلطيق ، ودفع المانيا الى مهاجمة الاتحاد السوفياتي في حين تلبث الحكومتان « الديموقراطيتان » مرتاحتين ، وقد كفتها الحيلة البارة ، شر القتال ...

وعزمت حكومة الاتحاد السوفياتي ، ازاء دسائس الحكومتين الفرنسية والانكليزية ، والروح العدوانية التي تجلت في الكولونيل « بيك » وعصابته ، وبعد ان اضحت - الحكومة السوفياتية - مهددة بحرب تجتاح اراضيها في اسوأ الظروف ،

ازاء هذه الحالة عرمت على احباط مؤامرات اعدائها وقلب
خططهم رأساً على عقب ، وفي ٢٣ آب تجنبت الحكومة
السوفياتية الفخ المنسوب ، ووقعت مع المانيا ميثاق عدم
اعتداء .

وبين عشية وضحاها ، تصاعدت تنادي « باحياتة »
« والفضيحة » الاحوات نفسها التي تناست الاتحاد السوفياتي في
مونيخ ، وخانت قضية السلام العالمي . اجل ، تصاعدت احوات
اولئك الذين بذلوا اقصى جهودهم لنسف العلاقات بموسكو
واحباط المفاوضات معها ، اولئك الذين كانت غاياتهم الحفبة
(والظاهرة احياناً) تتركز في ان يكتسح هتلر الاتحاد
السوفياتي ويسحقه . كان للحمقى وللجهلة والعمي وحدهم ان
ينتقدوا موقف الاتحاد السوفياتي ، ولم يكن هدف الميثاق
السوفياتي الالمانى ليخفى على احد : اذ كسبت موسكو فترة
من الزمن تستطيع خلالها استكمال تسليحها . لقد قلبت الاتفاقية
الموقف رأساً على عقب ، وحطمت جبهة الدول الرأسمالية التي
كانت تهدد الاتحاد السوفياتي ، وادت الى عزل الفاشية ، بأن
ألبت عليها حلفاً من الدول الديموقراطية ، كان الاتحاد
السوفياتي اول الداعين اليه .